

## تفسير آية الكرسي الكريمة

الحمد لله الذي تقدّس عن الحدوث ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد المبعوث ، وعلى آله وأصحابه الأبيوث ، نحمده أن هداانا لطريق الإسلام ، ووقفنا للعمل بدينه واتباع نبيه ، فسبحانه من إلهٍ وسع كرسيه السموات والأرض ، وفضل ما فضل من آياته على بعض ، وصلاة وسلاماً على من أرسله الله رحمة للعالمين ، وخصه بأشرف كتاب ، وفضله بغاية القرب ، وجملة في الدارين بألطف خطاب ، وعلى آله كنوز الندى ، وأصحابه نجوم الهدى .

وبعد فلها لآية الكرسي الكريمة من السيادة على آى القرآن ، كما جاء عن المصطفى سيد ولد عدنان ، رأيت أن أشرف بتفسيرها فجمعت ما تفرق من الكلام من مواطنه ، وأضفت ما فتح الله به من خزائنه ، فالحمد لله على أن ألهمنى هذه النعمة ، وله الشكر على ما أولانى من تلك المنّة .

### البحث الأول

في أسماء هذه الآية الشريفة

لها أسماء كثيرة ، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى في الأغلب الأكثر ففنها : سيدة آى القرآن ، والمحصنة ، والجنة ، وآية الحرس ، وأشرف آية ، وأعظم آية ، ولها أسماء غير هذه ، وكلها مأثورة .

وهي مدنية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه فكتبها .

## البحث الثاني في فضلها

في صحيح مسلم من حديث أبي بن كعب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه قال : « يَا أَبَا الْمُنْذِرِ ! أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، قَالَ فَضَرَّ بَنِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَدْرِي وَقَالَ : لِيَهْنَكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ » زاد الترمذى وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « وَاللَّيْ نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لِهَذِهِ الْآيَةِ لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ تَقْدَسَ الْمَلَكُ عِنْدَ سَاقِ الْمَرْشِيِّ » .

وهذا تمثيل لدلالاتها على صفاته سبحانه وتعالى وما اشتملت عليه من خصائص الألوهية ، قال الترمذى : فهذه آية أنزلها الله عز وجل ، وجعل ثوابها لقارئها عاجلا وآجلا ؛ فأما العاجل فهي حارسة لمن قرأها من جميع الآفات ، وسكت عن الآجل للعالم به ، وروى البخارى في تاريخه عن ابن الأسقع والد وائلة « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُمْ فِي صُفَّةِ الْمُهَاجِرِينَ فَسَأَلَهُ إِنْ سَأَلْتُ أَيُّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ أَعْظَمُ ؟ فَقَالَ : اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ » حَتَّى انْقَضَتِ الْآيَةُ .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما « أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى النَّاسِ فَقَالَ : أَيُّكُمْ يُحِبُّ بَرِّي بِأَعْظَمِ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ وَأَعْدَلِهَا وَأَخْوَفِهَا وَأَرْجَاهَا ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ ؛ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ عَلَى الْخَبِيرِ قَدْ سَقَطَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : أَعْظَمُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ : اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، وَأَعْدَلُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ : إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ الْحَ ، وَأَخْوَفُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ الْحَ ، وَأَرْجَى آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ : قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا الْحَ » .

وعن علي رضى الله عنه وكرم الله وجهه أنه قال : « مَا أَرَى رَجُلًا وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ أَوْ أَدْرَكَ عُقَلَةَ الْإِسْلَامِ يَبِيتُ أَبَدًا حَتَّى يَقْرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ

الْقِيَوْمِ الْآيَةَ ، وَلَوْ تَعَاوَنَ مَا هِيَ إِلَّا نَمَّا أُعْطِيَهَا نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كَنْزٍ  
تَحْتَ الْمَرْشِ وَلَمْ يُعْطَهَا أَحَدٌ قَبْلَ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا بَتُّ لَيْلَةً قَطُّ حَتَّى  
أَقْرَأَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَقْرَوْتُهَا فِي الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْأَخِيرَةِ ، وَفِي وَتَرَى حِينَ أَخَذُ  
مَضْجَعِي مِنْ فِرَاشٍ « وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ » مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ  
كُلِّ صَلَاةٍ لَمْ يَمْنَعَهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ .

ومعنى الحديث الشريف أنه لا يمنع من دخول الجنة إلا تأخر الموت وامتداد  
الحياة ، وهذا المعنى يفهم من سوق الكلام كما تعطيه الأحاديث الأخرى الصحيحة ،  
لأما يفهم من ظاهر اللفظ من أن الموت يمنع من دخول الجنة ، لأنه سبب في دخولها ،  
ولهذا عدّه الله من النعم في قوله في سورة الواقعة في مقام تعداد النعم ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا  
بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ ﴾ فتقديره نعمة لأنه وسيلة إلى النعم الدائم ، وكفى بهذا نعمة ،  
وكثيراً ما يحذف من الكلام ما تنفذه القرآن سلوكاً لطريق الاختصار واعتماداً على  
دلالة القرآن وهي طريق البناء . وعن عائشة رضی الله تعالى عنها أن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال : « مَنْ قَرَأَ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ أَرْبَعَ آيَاتٍ وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ  
وَالِثْنَيْنِ بَعْدَهَا وَالثَّلَاثِ مِنْ آخِرِهَا كَلَّاهُ اللَّهُ وَوَلَدَهُ وَمَالَهُ وَدُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ » .  
والسرفى طرد آية الكرسي للشيطان وجميع الآفات أن غاية القصد منها الدلالة

على مضمون الآية قبها من تمام القدرة المستلزم للوحدانية المستلزمة للإحاطة بجميع  
صفات الكمال مع التصريح بتلك الصفات الثبوتية والتلويح بالسلبية كلها أو جلّها  
وذکر الاسم الأعظم وما يدل عليه كما سيأتى إن شاء الله تعالى ، فعادت على قارئها  
أشعة شمس تلك القدرة القاهرة ، والصفات الباهرة بأنوار تحت ظلمة كيد الشيطان  
وآفاته ، وأضاءت عليه مصابيح السلامة في جميع حالته ، وقد روى أنها في الثواب تعدل  
ربع القرآن ، قيل في هذه المعادلة إنها من التشابه ، وقيل هي باعتبار ماتضمنته تلك  
الآية من مقاصد القرآن ، فعنى معادلة آية الكرسي لربع القرآن أن القرآن يشتمل على

تقرير التوحيد والنبوءات وأحكام المعاش وأحكام المعاد ، وآية الكرسي تشمل على الأول ، ويتعين أن يكون المراد من الربع الكرم ، لا الكيف لأن ثواب القارئ لربع القرآن عظيم لأنه عمل لسان وقلي كثير فله أجر كثير ، وفضل الله واسع ، والأحاديث في فضلها كثيرة ، والله أعلم .

### البحث الثالث

في بيان ما تضمنته هذه الآية من الاسم الأعظم ، واختلاف العلماء فيه

قيل إنه الحى القيوم ، قال الإمام الرازي ، ويدل لذلك وجهان :  
أحدهما ما روى أن أبي بن كعب رضى الله عنه طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه الاسم الأعظم فقال في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾  
وفي قوله : ﴿ أَلَمْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ .  
الوجه الثانى أن الحى يدل على كونه قادراً ، علماً ، متكلماً ، سميعاً بصيراً ، والقيوم يدل على كونه قائماً بذاته مقوماً لغيره .

ومن هذين الأصلين تتشعب جميع المسائل المعتبرة في علم التوحيد .  
ففي هذين الاسمين الشريفين من صفات العظمة والإلهية ما ليس في غيرها .  
قال الإمام النووي في الفتاوى ما نصه : مسألة ما هو اسم الله الأعظم ؟ وفي أى سورة من سور القرآن هو ؟ .

والجواب أنه الحى القيوم ، وأنه في ثلاث سور من القرآن : فى البقرة ، وآل عمران وطه ، لأحاديث وردت بأنه فى هذه السور الثلاث ، وأما أنه هو الحى القيوم فاستنباط حسن لبعض الأئمة يقويه روايات أخر تدل على أنه الحى القيوم ، ولم يذكر فى الروايات الأخر السور كما لم يذكر فى رواية السور أنه الحى القيوم ، فى البقرة فى آية الكرسي :

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ . وفي آل عمران : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ وفي طه : ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ .

وذهب جماعة إلى أنه ذو الجلال والإكرام لقوله صلى الله عليه وسلم : « أَلِطُوا » أى الزموا فى المساء « بِيَاذَا الْجَلَالَ وَالْإِكْرَامِ » لأن ذلك يدل على جميع الصفات المعتبرة فى الألوهية ، فالجلال : إشارة إلى أنه مقدس عن غايات العقول ، ونهايات الأوهام ، والإكرام : إشارة إلى صفات الرحمة والإحسان .

ومنهم من ذهب إلى أنه مذكور فى أوائل السور ، وقد سبقت الإشارة إليه . وقيل : إنه اسم من أسماء الله تعالى غير معين ، بل كل اسم ذكره العبد حال استغراقه فى معرفة مولاه ، وانقطاع فكره عما سواه ، فهو الاسم الأعظم ، لأن شرف الاسم إنما هو بمسماه ، وجميع صفاته وأسمائه تدل على ذاته المقدسة الموصوفة بالوحدانية ، فإذا ذكر الله عند انقطاع الطمع من غيره تعالى كان هو الاسم الأعظم ، فكلمة كان انقطع قلب العبد عن الخلق أتم ، كان الاسم الذى يذكر ربه به أعظم ، ومن ذكره بأعظم الأسماء على ما بيننا أسبغ عليه أعظم النعم فيخلصه من دركات العذاب ، ويوصله إلى درجات النعيم ، ولهذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ » وجهه أنه حينئذ منقطع عن الخلق تماما .

ودخل جماعة عند أحد كبار أتباع التابعين وهو فى النزاع فتذاكروا كيف يلتصق الشهادة ، واستحسروا أن يلتصقوا بأن يقول أحدهم كلمة الشهادة ، وانفقت كلمتهم على أن يتذاكروا الحديث ، فلعله إذا سمعه يقول كلمة الشهادة ، فبدأ أحدهم بذكر السند فأرتج عليه الحديث ، فكأنه ما سمعه ولا قرأه ، والثانى كذلك ، فبدأ المحتضر رضى الله عنه فقال حدثنا محمد بن بشار أنبأنا أبو عاصم النبيل عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح ابن أبى عريب عن كثير بن مرة عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَرَجَتْ رُوحُهُ مَعَ الْهَيَاءِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

ومن الناس من قال : جعل الله الاسم الأعظم مكتوما غير معلوم ليصير ذلك سبباً للمواظبة من الخلق على ذكر جميع الأسماء كما أخفى الله الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس ، وليلة القدر في الليالي ، وساعة الإجابة من الليل ، ومن يوم الجمعة ، والرجل الصالح في خلقه ، ليحافظ على الجميع ، ولا يساء للجميع .

وقيل : إن اسم الله الأعظم هو لفظ الجلالة الكريم ، واستدل بأدلة منها أنه لم يطلق على غيره تعالى ، ومنها أنه الأصل في أسمائه تعالى كلها وسائرهما تضاف إليه ، ومنها قوله تعالى : ﴿ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ والأول أشرف ، ومنها أن الكافر لا بد في إسلامه من لفظ الجلالة فكانت النجاة من النار ، والقتل ، والفوز بالنعيم المقيم موقوفة عاينها ، ومنها قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ شَمَّ ذَرْهُمُ فِي خَوْضِهِمْ يَكْفُونَ ﴾ حيث أمر سبحانه وتعالى بالإعراض عما سواه ، ومنها أن لهذا الاسم خاصية ليست لغيره ، وهي أن سائر الأسماء إذا دخلت يا الندائية عليها سقطت منها أل فلا يجوز أن يقال يا الرحمن بل يقال يارحمان ، بخلاف هذا فتقول يا الله ، وفيه إشارة لطيفة إلى أن هذه المعرفة ليس لها زوال ، وحصول المعرفة مع الملوك من أعظم استجلاب كرمهم ، والاستمداد من نعمهم ، ومنها أنه بدى به كتاب الله .

## البحث الرابع

في مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها : هي مناسبة لها من وجهين :  
أحدهما أن من عادته تعالى في هذا القرآن الكريم أن يذكر عَلمَ التوحيد ، وعلم الأحكام ، وعلم الفصص ، والأول هو المقصود الأعظم ، وذكر الثاني ليتوصل به إلى الأعمال الصالحة الرافعة لأستار الغفلة عن عيون أرباب القلوب والأخلاق الفاضلة المزيلة عن أنفسهم صداً الريوب لتتجلى فيهم حقائق التوحيد ، وذكر الثالث للمبالغة في إزام الأحكام والتكاليف ، وتقرير دلائل التوحيد ، وهذه الطريق أكل الطرق وأحسنها

فإن الاستمرار على نوع واحد يفضى إلى الملالة ، فلما ذكر سبحانه وتعالى بعضاً من علم الأحكام والقصص في الآية قبلها عقبها بما يدل على انحصار الإلهية وإثبات الملكية وكثير من صفاته السنية في ذاته العلمية ، ليكون ذلك برهاناً على ما تقدم ذكره .

الوجه الثانى أنه تعالى لما أمر في الآية قبلها بالإنفاق قبل أن يأتى اليوم الموعود الذى لا ينفع فيه خلة خليل ولا شفاعة شافع ، وهو خلاف المعهود فى ملوك الدنيا لأنهم لا يتمكنون من مرادهم حق التمكن من كثرة الشفعاء ، ومراعاة حق الأصدقاء لحاجتهم إلى مداراتهم واستجلاب خواطرم التفتت النفس من هو المالك لذلك اليوم الموعود الذى لا تنفع الشفاعة عنده إلا بذنه فقال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ الخ (الله) لهذا الاسم الكريم المخصوص بالتعظيم مباحث كثيرة لأن العقلاء كما تاهوا فى ذات الله تعالى وصفاته لاحتجابها بأنوار العظمة وأستار الجبروت ، كذلك تحيروا فى اللفظ الكريم الدال على تلك الذات المقدسة كأنه مسه شىء من أشعة تلك الأنوار فحارت العقول فى دركه ، كما حارت فى درك مسماه فاختلفوا أسريانى هو أم عربى ، واسم أم صفة علم ، أم غير علم ، مشتق أم لا ، ومم استنقاه ، وما أصله ؟ والصحيح أنه عربى ، ووقوعه فى غير العربية من توافق اللغات ، وأنه علم على الذات الواجب الوجود وهذا تعيين لموضوع الجلالة ، وليس الموضوع له لأنه كلى ، ومقتضى هذا صحة إطلاق الذات عليه تعالى ، كما ورد فى البخارى فلا وجه لمن قال : لا يصح إطلاق الذات عليه لأنه محجوج بما رواه البخارى وبما نقله السعد فى حواشى الكشاف ، وغير مشتق وفقاً للامام الشافعى رضى الله عنه ، والواضع لهذا الاسم هو الله تعالى ، وكره بعضهم أن يقال فى اسم الله تعالى إنه علم شخص لما فيه من إبهام ما لا يلبق بجنابه الأقدس المخصوص بجميع الكالات .

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ هذا كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ . إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ . هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ فيه دلالة على التوحيد كقوله صلى الله

عليه وسلم « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا » .

وهذه درجة يشترك فيها المؤمن والمنافق، لأنه إذا انضم إلى التلفظ بالتوحيد على الوجه المعتبر الإذعان بالقلب لذلك فهو مؤمن وإلا فهو منافق تجرى عليه الأحكام الظاهرة في الدنيا وهو في نفس الأمر كافر ، ثم الأول إن كان بتقليد فهو توحيد العامة ، أو باستدلال فهو توحيد الخاصة ، وإليه يشير قوله تعالى : ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ .

وأما توحيد خاصة الخاصة فهو إسقاط الأسباب الظاهرة فلا يشهد في التوحيد دليلاً ولا في التوكل والنجاة سبباً ، ولهذا قال سيد الصوفية: التوحيد إسقاط الحدوث ، وإثبات القدم ، فالتوحيد إثبات الرب بالوجود فلا يكون معه موجود ، وهذا المعنى يصح بعلم الفناء ، ويصفو في علم الجمع وهذه المرتبة تجمع أصحاب المشاهدة والمكاشفة ونسبتها إلى أصحاب البراهين القطعية كنسبة أولئك إلى عوالم الخلق .

واعلم أن أهل الحقيقة رتبوا لأصحاب المكاشفات ست مراتب ، ثلاث منها لأصحاب البدايات ، وثلاث لأصحاب النهايات ، وأما التي لأصحاب البدايات فهي اللوائح ، واللوامع ، والطواع ، فاللوائح كالبرق كلما ظهر ذهب ، واللوامع هي أظهر من اللوائح ، وليس زوالها سريعاً كسرعة زوال اللوائح ، فقد تبقى أكثر من وقت ، والطواع هي أقوى سلطاناً ، وأبقى زماناً ، وأبقى للثمة ، وأذهب للظلمة ، لكن عليها خطر الأفول ولزوال ، وأوقات أفولها طويلة الأذبال .

وأما التي لأصحاب النهايات فهي المحاضرة ، والمكاشفة ، والمشاهدة ، فالمحاضرة حضور القلب عند الدلائل ، والمكاشفة أن يصير العبد في سيره إلى الله عز وجل غير محتاج إلى سبيل ، وتأمل دليل ، والمشاهدة هي توالي أنوار التجلي على قلب العبد من غير تخال انقطاع ، فكما أن توالي البرق من غير انقطاع يجعل الليل كالنهار كذلك القلب إذا دام فيه شروق أنوار التجلي تشرق أنواره ، ويستمر نهاره كما قيل :

ليلى بوجهك مشرقٌ وظلامه في الناس سارى  
فالناس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهار

فأما المحاضرة فمثلها رؤية الشيء في المنام ، والمكاشفة كروية الشيء بين النوم واليقظة ، والمشاهدة كروية الشيء في اليقظة ، ثم المشاهدة يختلف حالها في القرب والبعد ، كما تختلف رؤية الشيء بالقرب والبعد ، وصفاء الهواء وكدرته ، وكثرة الموانع وقتها ، وقوة البصر وضعفه ، وأيضاً المحاضرة تشبه الجلوس على عتبة باب الملك من وراء الباب ، والمكاشفة تشبه الدخول في دار الملك ، والمشاهدة تشبه الوقوف في الموضع الذي لا يكون بينك وبين مطلوبك فيه حجاب .

واعلم أن القلب خلق كامل الوصفية ، وله وجهان : ظاهر وباطن ، فظاهره تراى أرضى طبيعى جسماني ظاهري ، وباطنه سماوى نوارى روحانى ، فكثافته وظلمته ظاهرة لمباشرة القوى الطبيعية البشرية ، ولطافته باطنه لمواجهة الملائكوتيات العلوية الروحانية الربانية ، فعلى قدر مواجهته لها ومقابلته إياها تنعكس عليه بأشعة أنوارها وتتجلى لأسراره بأسرارها فيشاهدها بالأنوار التي أفاضت عليه ، ويدركها بالأسرار التي أبدت إليه ، فهذا معنى العكس والمقابلة ، فهو يشهد جمالية محبوبه في مرآة قلبه من غير حصر ولا تحيز ، ولا حلول ولا اتحاد ، ولا انفصال ولا اتصال ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فقلب المؤمن كالمرآة لها وجهان : ظاهر كثيف مظلم ، وباطن لطيف مضيء ، فالذى يقابلها من الكائنات صغيراً أو كبيراً يرى فيها مع صغر حجمها وكبر حجمه من غير حلول فيها ولا اتصال بها ، ولا تحيز في شيء منها ، فكذلك رؤية الحق سبحانه وتعالى إذا تجلى على قلب عبده المؤمن بأن يشاهده بعين يمينه ويحتايه ببصر بصيرته من غير حلول ولا اتحاد ولا اتصال ، وبالجملة فقلب المؤمن عند انكشاف أنوار الحق له إن كان الموحد يرى نفسه ، فهذا هو الفناء في التوحيد وهو مرتبة الخواص لكنه مشوب بكدره رؤية النفس ، فإن غاب مع ذلك عن رؤية نفسه وعن أحواله الظاهرة والباطنة ، وعن ذلك الفناء بحيث لا يشاهد غير الله تعالى فذلك هو فناء الفناء وهو مقام جمع الجمع ،

وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : « الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » فيصير له معنى قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ذوقاً وحالاً ، كما أن حظ غيره من المؤمنين يكون علماً وإيماناً ، والذوق نيل تلك الحالة بالحصول الاتصافي ، والعلم معرفة ذلك بالبرهان ، وكَم بينهما من فرق .

وليس معنى ما تقدم في المقامين ترك الأسباب ، وعدم السعي في طلب الرزق أصالة ، وعدم مخالطة الناس والانتطاع ، فهذا خطأ ، بل معناه فعل السبب والسعي والمخالطة مع رؤية أن ميسر السبب وخالقه والرابط له بالمسبب هو الله تعالى ، وأن هذا كله فعله لأفعل غيره ، ولا فعله مع غيره ، هذا هو المعنى فقد كانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهم في مقام جمع الجمع بكيفية لا يداينهم فيها غيرهم يجاهدون ، وفيه إعداد العدة وأخذ الأهبة ، ويتجرون ويتزوجون النساء ، وبالجملة تمت مخالطتهم للناس حتى بينوا جميع ما يلائم لهذه الحياة وامتلك الحياة .

ولما أثبت سبحانه وتعالى توحيد ذاته المقدسة أثبت استحقاقه لذلك بحياته الذاتية إشارة إلى نفي ألوهية الأصنام والكواكب وغيرها فقال :

﴿ الْحَيُّ ﴾ أى الذى يصح أن يَعْلَمَ وَيَقْدِرَ ، وكل ما يصح للواجب حاصل لا يزول لامتناعه عن القوة والإمكان ، أى كل ما يصح للواجب من الصفات الحقيقية ، ومنها الحياة فلا بد أن يكون واجبا له ولا مقتضى لصفاته غير ذاته ، وإلا لكان محتاجاً إلى الغير فيكون ممكناً ، وإذا كانت صفاته مقتضى ذاته كانت الحياة ذاتية له وهذا معنى قولهم : حتى بذاته .

﴿ الْقَيُّومُ ﴾ أى القائم بذاته ، القائم بتدبير غيره ، البالغ أقصى الغايات فى ذلك ، فهو مفيد لمعنى أزديما تفيده الحياة ، وإعراب النظم الكريم ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ أن تقول : اللفظ الكريم مبتدأ ، ولا إله إلا هو خبر ، والحي خبر ثان ، أو لخدوف : أى هو الحي ، ويجوز أن يكون صفة للفظ الكريم ، أو بدلاً من لا إله إلا هو كما قيل ، أو بدلاً من هو كما قيل بذلك أيضاً ، ويجوز فى القيوم أن يكون خبراً للجلالة

أو لمخدوف ، وأن يكون صفة للحى بناء على وصف الصفة ، وأن يكون بدلاً من الحى أو من لا إله إلا هو ، أو من الضمير المستتر فى الحى أو من الضمير المستتر فى الخبر ، وأن يكون مبتدأ خبره : لا تأخذه سنة ولا نوم ، ورباط الخبر الجملة فى قوله ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بالمبتدأ لفظ هو لسكونه ضميراً راجعاً إلى المبتدأ أو لسكونه من أسماءه تعالى بحيث يفهم منه ذاته تعالى من غير سبق ذكر ، فالربط من جعل الاسم الثانى موضع المضمرة ، وخبر لا فى لا إله إلا هو ، وفى لا إله إلا الله وقع فيه خلاف بين العلماء ، فذهب الإمام الرازى إلى عدم التقدير أصلاً لما يرد على التقدير كما يأتى ولأنه عند عدم التقدير يكون نفياً للماهية ، ونفى الماهية أقوى فى التوحيد ، ونقل ابن الحاجب أن بنى تميم لا يثبتون لها خبراً مطلقاً ، وما أوهم الخبرية فى اللفظ لا يجهلون خبراً بل صفة للاسم ، والنسبة لا تتوقف على الخبر لجواز أن تكون لا بمعنى الفعل أى انتفى الإله إلا الله ، ونظيره النداء نحو يا زيد فإنه بمعنى أدعوك . وذهب الجمهور إلى أن الخبر مقدر ، ثم اختلفوا فيه فذهب بعضهم إلى تقدير الاستحقاق ، وذهب بعضهم إلى تقدير الامكان ، فالمعنى على الوجه الأول لا معبود مستحق للعبادة غير الله ، وَوَجَّهَ هَذَا بِأَنَّ الْمَقْصُودَ قَصْرَ اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ عَلَيْهِ تَعَالَى ، وَهَذَا الْمَعْنَى لَا يَحْصُلُ نَصّاً إِلَّا بِتَقْدِيرِ اسْتِحْقَاقِ ، إِذْ بِتَقْدِيرِ الْوُجُودِ مَعَ حَمْلِ الْإِلَهِ عَلَى الْمُسْتَحَقِّ لِلْعِبَادَةِ يَبْقَى إِلَهُ مُسْتَحَقِّ لِلْعِبَادَةِ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى ، لِأَنَّ انْتِفَاءَ وُجُودِهِ لَا يَتَمَتَّعُ بِانْتِفَاءِ امْكَانِهِ وَلَا يَتَمُّ بِتَقْدِيرِ الْامْكَانِ لِأَنَّ قَصْرَ امْكَانِ الْإِلَهِ تَعَالَى لَا يَتَمَتَّعُ بِوُجُودِ الْإِلَهِ تَعَالَى وَاسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى بِالْفِعْلِ ، وَمِنْ بَيَانِ الْمَعْنَى الْمَتَقَدِّمِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَعْلَمُ أَنَّ الْإِلَهَ الْمَعْبُودَ مُطْلَقاً لَا الْمَعْبُودَ بِحَقِّ ، وَالْإِلَهَ بِحَسَبِ مَعْنَاهُ لُغَةً : مَفْهُومٌ كَلِمَى فَيَصِحُّ الِاسْتِثْنَاءُ مِنْهُ ، وَانْحِصَارُهُ فِي الْخَارِجِ فِي الْوَاجِبِ لِلدَّلِيلِ ، وَاسْتِشْكَالِ هَذَا الْوَجْهِ لِأَنَّ الْمَعْنَى الَّتِي يَفِيدُهَا هَذَا التَّقْدِيرُ أَنَّ لِمَعْبُودٍ بِالْفِعْلِ مُسْتَحَقِّ لِلْعِبَادَةِ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ الْإِتِّصَافَ بِمَفْهُومِ الْمَوْضُوعِ لَا بَدَأَنَّ يَكُونُ بِالْفِعْلِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ، وَحِينَئِذٍ يَبْقَى اِحْتِمَالُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى بِالِامْكَانِ ، فَلَا تَكُونُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ نَصّاً فِي نَفْيِ اسْتِحْقَاقِ عَنْ جَمِيعِ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى ،

وجوابه أن هذه التفضية سالبة ، والسالبة تصدق بنفي الموضوع ، فيصدق هنا نفي استحقاق الألوهية عن غيره تعالى لأنه ليس لكماله فرد ممكن غيره مستحق للعبادة ، ومفهوم تلك الكلمة نفي استحقاق الألوهية عن جميع الأفراد الممكنة الاتصاف بالمعبودية غير الله تعالى كما يقتضيه مذهب المتقدمين من أن الاتصاف بالمفهوم العنواني بالإمكان وهو المذهب الحق كما هو مقرر في موضعه، على أن هذا الكلام مبني على متفاهم العرب وهم لا يتفاهمون به إلا على معنى نفي استحقاق الألوهية عن جميع الأفراد الممكنة الاتصاف بالألوهية بحسب نفس الأمر وإثبات استحقاقه لها سبحانه وتعالى كما قدمنا لأن المفهوم من الاستعمال من هذا التعبير ذلك. ألا ترى أن المفهوم من لا قائم في الدار لا قائم بالفعل بحسب نفس الأمر مما يمكن اتصافه بذلك على أن هذا يتأتى على جميع التقادير، وجوابه ما قلناه ، ومن قدر الإمكان فالمعنى عليه لا إله ممكن أوفى الإمكان إلا الله وذلك لأنه أتم في التوحيد من نفي الوجود عن الغير وإثباته لله لأن من أقرّ بانحصار وجود الإلهية فيه سبحانه وتعالى وقال بإمكان غيره فهو كافر ، وفي هذا نفي إمكان ألوهية غيره وإثبات ألوهيته التزاماً ، وضعف هذا الوجه بأن المطلوب إثبات الألوهية له تعالى نصاً ، ومن قدر الوجود جعل المقصود بالإله إلا الله التوحيد وهو إثبات الوجود له تعالى ونفيه عن إله غيره ، ونفي إمكان إله غيره لا يستلزم إثبات وجوده كما مر ، مع أن مدعى الخصم من الكفار ليس بمجرد إمكان إله آخر بل وجود إله آخر ففي هذا التقدير رد لما ادعاه الخصم ويقال عليه ما مر من أنه لا يفيد حصر إمكان الألوهية فيه تعالى وجوابه ما مر ، وأيضاً الإقرار بانحصار وجود الإله فيه تعالى لازم له الاعتراف بانحصار إمكان الألوهية ، لأن من قال : لا إله موجود إلا الله يلزمه أن يعترف بأن وجود الإله الغير غير ممكن ، إذ لو أمكن لوجد ألبتة لأن الألوهية ووجوب الوجود متلازمان ، ولم يرد في توجيه هذا الرأي شيء عن تقدير الاستحقاق وكأنه يراه صحيحاً مستقيماً ، وقدّره بعضهم معبود بحق وهو فاسد لتناقضه ، لأن حاصله نفي المعبود بحق عن المعبود بحق وذلك تناقض لا يخفى وبعضهم قدره ممكن موجود معاً ، وهو بعيد لأن المقدّر ليس إلا بدلالة المنطوق وهو اسم

لا المحتاج إلى الخبر وهو لا يدل إلا على واحد و بأن التقدير في الكلام بمد الحذف فيه ،  
والحذف خلاف الأصل فينبغي أن يجتزأ عنه وعمما يفضى إلى كثرته ، وإلا أداة استثناء  
كما هو التحقيق ، و «هو» بدل من الضمير المستكن في الخبر ، وذهب عبد القاهر إلى  
أنها بمعنى غير ، وهي مع الاسم العظيم بعدها صفة لاسم لا ، والتقدير لا إله غير الله  
في الوجود ، و يمنع أن المقصود من هذا الكلام أمران نفي الألوهية عن غير الله تعالى  
وإثباتها له سبحانه وتعالى ، وهذا إنما يتم إذا كانت إلا للاستثناء لأننا نستفيد النفي  
والإثبات بالمنطوق . أما إذا كانت إلا بمعنى غير فلا يفيد الكلام بمنطوقه إلا نفي الألوهية  
عن غيره تعالى . وأما إثبات الألوهية لله تعالى فلا يفيد التركيب حينئذ ولا يبقى إلا  
أنه مستفاد من المفهوم ، ولا يخفى أن دلالة المنطوق هي المسؤل عليها لأن المفهوم إن كان  
مفهوم لقب فلا عبرة به عند غير الدقاق ، وإن كان مفهوم صفة فهو غير مجمع على ثبوته  
والاحتجاج به وعبر بالإضمار لأن المقام لا يحتمل غيره وهو أدل على الخصوص المراد .  
ولما وصف سبحانه وتعالى ذاته القدسية بحياته تنزيهاً عن الموت الأكبر عقب ذلك  
بتنزيهاً عن الغفلة بنفي سببها « النوم » الذي هو الموت الأصغر فقال جل ذكره :

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ السنة كعِدّة من و سن فهو وسنان ، ومعناها ما يتقدم  
النوم من الفتور الذي يسمى بالنعاس . فالعنى لا يأخذه نعاس ولا نوم ، والنوم حال  
يعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ بسبب رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث  
تقف الظاهرة عن الإحساس رأساً .

وفي الشفاء : النوم اجتماع أبخرة طبيعية تكون في مجرى الأرواح فيقل الإدراك ثم  
يذهب رأساً ، وليس لمطلق الحيوان ، إذ منه ما لا ينام كالذئب والعقاب والحدأة ، وهذا  
غير صحيح ، لأن سوق الآية السكرية لبيان الفارق بين الوجود الحيواني والوجود الواجبي  
فكل ماسوى الواجب من الحيوان تأخذه سنة ونوم ، ولا يكون إلا عن صحة ، وليس  
هذا حداً للنوم لأن النوم حال تعرض من اجتماع الأبخرة ، وحقيقة هذه الحالة لم تعرف ،  
فيكون ما قبله بياناً لمعنى النوم بذكر أمر عام ، وهو الحالة وبيان سببها ، وبيان خاصتها .

وأما كلام الشفاء ففيه شيء من التساهل في قوله إن النوم اجتماع أجزءه ، وإنما ذكر خاصته وذكر سببه ، ولا تقول: إذا كانت السنة وهي مقدمة النوم لا تأخذه فلا يأخذه النوم بالأولى فيكون ذكر النوم تكراراً . لأنه يقال لك إن تقدير الآية لا تأخذه سنة فضلاً عن نوم ، على أن ضعيف المزاج نومه خفيف وقوى المزاج نومه ثقيل . فجاز أن يتوهم متوهم أنه تعالى هو القوى فيأخذه النوم الثقيل ولا تأخذه السنة ، فنفي النوم الثقيل أيضاً دفماً للتوهم المذكور ، ولك أن تقول إن الجمع بينهما مع تقديم السنة موافقة للخارج على طريقة ﴿ لَا يُفَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أُحْصَاهَا ﴾ .

وقال بعضهم: إنه لا يفتى ذكر النوم وحده لثلاثتهم أن السنة يجوز أن تطرقه فيزول تمكينا بنحو ما يفعل أحدنا بالمشي وغيره ، ولا ذكرها وحدها ، لأن النوم ربما يهجم بقوته دفعة من غير تدرج فتور ، ولأجل التصبير بالأخذ الذي معناه القهر والغلبة وجب تقديم السنة ، كما لو قيل فلان لا يغلبه أمير ولا سلطان ، وقيل في هذا المقام إن نفي الأخذ لا يستلزم نفي الحصول ، فهل نفي الحصول ؟ وجوابه أن الأخذ في هذا المقام هو الموجود الحاصل المشاهد فهو لازم للسنة والنوم فنفيه يستلزم نفيهما لأن نفي اللازم يستلزم نفي الملزوم ، وقيل نزه نفسه عن السنة والنوم لما فيهما من الراحة وهو تعالى لا يجوز عليه التعب ، وقيل المعنى لا يقهره شيء ولا يغلبه ، وفي المثل النوم سلطان ، وهذه الجملة تأكيد في المعنى للقيوم لأنه من لوازمه ، وإثبات اللازم بعد إثبات الملزوم تأكيد للمازوم ، ووجه اللزوم أن من جاز عليه النوم لا يكون قيوماً ، وينعكس بعكس النقيض إلى من يكون قيوماً لا يجوز عليه النوم ، وقيل إن هذه الجملة نفي للشبيه وتأكيد لكونه حياً قيوماً ، فإن من أخذه النعاس أو النوم كان مأفوف الحياة قاصر الحفظ ، والتدبير ، والذي قبله أنها تأكيد للقيوم فقط ، والقيوم كما قدمنا موقعه مما قبله موقع التعليل . وأما هذا الأخير فيرى أن الجملة بتامها تأكيد للحجى القيوم ، ثم هذه الجملة خبر عن الحجى أو عن الله ، أو حال من المستكن في القيوم أو استثناء ، ويجوز أن تكون حالاً من القيوم نفسه ، أو من ضمير الحجى أو من الحجى نفسه ، أو من هو ،

أو من الله ، ويجوز أن تكون الجملة خبراً عن القيوم ، وإنما أنت الفعل في «تأخذه» ولم يغلب المذكر لأنه من عطف الجمل دون المفردات ، فالمعنى لا تأخذه سنة ولا يأخذه نوم ، فحذف من الثاني للدلالة الأول ، على أن العبرة في التذكير والتأنيث بالمتبوع ، ومنه قوله تعالى : ﴿لَا تُضَارُّ وَالِدَهُ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودُهُ لَهُ بِوَالِدِهِ﴾ وتكرير النفي لبيان انتفاءهما على كل حال ، إذ لولا ذلك احتتمل أن يكون انتفاءهما بقيد الاجتماع ، ثم قال سبحانه وتعالى تقريرا للقيومية له وسوقاً للحجة على تفرده بالألوهية .

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أى له لاغيره ما في السموات وما في الأرض خلقاً وملاكاً على وجه الاختصاص ، والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلاً في حقيقتيهما أو خارجاً عنهما متمكناً فيهما ، فهو أبلغ من قوله : له السموات والأرض وما فيهن ، ووجه الأبلغية أن الآية تدل على أن كل جزء للسموات وكل جزء للأرض فهو له تعالى ، سواء كان ذلك خاصاً بواحد منهما أو مشتركاً بينهما ، بخلاف وما فيهن فإنه لا يدل على ذلك صريحاً ، بل الظاهر الدلالة على أن الجزء المشترك له ، وكذا تقول في الأمور الخارجة فإن ظاهر هذه العبارة دال على أن الأمر الموجودة فيهما معاً له تعالى . وأما الأمور التي وجدت في إحدهما دون الأخرى فلا يدل ظاهر العبارة عليها ، ووجه بعضهم الأبلغية بمناسبة مقتضى الحال إذ المقصود نفي الألوهية عن غير الله تعالى ، وأنه لا ينبغي أن يعبد غيره ، لأن ما عبد من دون الله من الأجرام النيرة التي في السموات كالشمس والقمر والشعري ، والأشخاص الأرضية كالأصنام وبنى آدم كل منها ملك له تعالى مر بوب مخلوق في السموات والأرض ، فنص على ملكه واختصاصه بما فيهما نفياً لألوهية ما ذكر .

وأما ملكه ذات السموات والأرض ، فقد علم من غير موضع من القرآن غير هذا الموضع ، ففي الجمع بين الظرف والمظروف حينئذ إطناب في مقام الإيجاز الأنسب بالمقام ، وليكن الأنسبية التامة متحققة بما حررناه بقولنا : والمراد إلى آخره ، والتعبير بما دون من لأن المقصود إضافة كل ما سواه إليه بالمخلوقية ، والغالب فيه ما لا يعقل

أو أنه نزل من عبد من العاقل منزلة غير العاقل إشارة إلى عدم صلاحيته لهذا المقام ، وعلى هذين تكون ما واقة على ما عبد من دون الله ، أى له تعالى لا لغيره ما عبد ممن فى السموات والأرض ، ولكن يرد عليهما أنهما قاصران ، فالوجه ما قدمناه ، وتكرير النفى للتأكيد ، ولم تجمع الأرض إشارة إلى فضل السموات .

ولما كان المشركون يزعمون أن الأصنام تشفع لهم عند الله تعالى فيقولون : ﴿ هُوَ الَّذِي شَفَعَنَا وَنَا عِنْدَ اللَّهِ . مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى ردًا عليهم بأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه : أى إلا بأمره فقال جلّ وعلا : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ أى لا أحد يطلب شيئًا لغيره منه سبحانه وتعالى إلا بإذنه ، فهذه الجملة تقرير لما قبلها وبيان لكبريائه ، وأنه لا أحد يتمالك أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له فى الكلام لقوله : ﴿ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ فهى بيان لعزّة شأنه وأنه لا يساويه أحد أو يدانيه يستقل بأن يدفع ما يريده شفاعاة واستكانة ، فضلا عن أن يقاومه عنادا أو مناصبة ، ومعنى الإذن : الأمر كما ورد فى حقه صلى الله عليه وسلم : « أَشْفَعُ تُشَفِّعُ وَقُلُّ يُسْمَعُ لَكَ » والشفاعة تجديد وصلة بين المشفوع له ، والمشفوع عنده ، ولا يصح إنكار الشفاعة رأسا مع تصريح هذه الآية الكريمة بها لمن أذن له ، وهى ثابتة للرسول والأخير فى حق أهل الكبرياء ؛ لأنه يجوز العفو والمغفرة بدون الشفاعة فبالشفاعة أولى ، ووجه الأولوية إظهار فضل الله على الشفعاء .

وإعراب هذه الجملة : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ أن من مبتدأ وهو استفهام فى معنى النفى ، كما سبقت الإشارة إليه ، ولهذا دخلت الألفى قوله « إلا بإذنه » فهو استثناء مفرغ ، وخبر المبتدأ « ذا » ، والذى نعت لنا أو بدل منه ، وعلى هذا تكون ذا اسم إشارة ، ولكن فيه بُعد لأن ذا إذا كان اسم إشارة وكان خبراً عن من استقلت بهما الجملة مع أنها محتاجة إلى الموصول بعدها ، والذى يظهر أن من الاستفهامية

ركبت مع ذا وتكون منذا كلها كلمة واحدة في موضع رفع بالابتداء ، فتكون ذا لغواً  
أى ليست اسم إشارة ، والموصول هو الخبر عن منذا إذبه يتم معنى الجملة الابتدائية  
وعنده معمول ليشفع ، وياذنه متماق بيشفع ، والباء المصاحبة ، والمعنى لا أحد يشفع  
عنده إلا مأذونا له منه .

﴿ يَعْلمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ أى ما قباهم وما بعدهم ، أو بالعكس لأنه  
مستقبل المستقبل ومستدبر الماضى ، أو أمور الدنيا والآخرة أو عكسه ، أو ما يحبون  
وما لا يحبون ، أو ما يدركونه وما لا يدركونه ، أو ما بين أيديهم من السماء والأرض ،  
وما خلفهم مما فى السماء وما فى الأرض ، أو الحاضر من أفعالهم وأحوالهم وما سيكون  
منها أو عكسه ، أو ما بين أيدي الملائكة من الشفاعة وما خلفهم من أمر الدنيا وقيل  
غير ذلك ، والمقصود أنه تعالى عالم بأحوال الشفيع والشفوع لأنه عالم بجميع المعلومات ،  
والشفعاء لا يعلمون من أنفسهم أن الله أذن لهم فى تلك الشفاعة أم لا ، والمراد بهؤلاء  
المذكورين الملائكة ، وسائر من يشفع يوم القيامة من النبيين والصدّيقين والشهداء  
والصالحين ، فهو كناية عن إحاطته علماً بسائر المخلوقات من جميع الجهات ، وكفى بهاتين  
الجملةين عن سائر جهات ما أحاط علمه به كما تقول : ضرب زيد الظهر والبطن من فلان  
أى جميع جسده والضمير لما فى السموات والأرض لأن فيهما العقلاء وغلب العقلاء  
على غيرهم .

﴿ وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ ﴾ أى من معلوماته .

﴿ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ هو أن يعلموه فعلم الإنسان إنما هو بادرة الله تعالى .

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ المتبادر إلى الذهن ثلاث معان :

أولها أن كرسية لم يضق عن السموات والأرض ببسطته وسعته ، وما هو إلا  
تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسى ولا قعود ولا قاعد : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ  
وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ من غير تصور قبض  
وطى ويمين ، وإنما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل للمعقول بالحسوس ، والله سبحانه وتعالى

خاطب الخلق بتعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه في ملاوكتهم وعظماهم ، فمن ذلك جعل الكعبة بيتاً يطوفون به كما يطوفون بيوت ملاوكتهم ، وذكر في الحجر الأسود أنه يمين الله في أرضه ، ثم جعله موضعاً للتقبيل كما يقبل الناس أيدي ملاوكتهم ، وأثبت لنفسه عرشاً فقال ﴿ ارْتَحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ثم وصف عرشه فقال : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ وقال : ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ وقال : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ ﴾ .

وما هذا كله إلا تصوير لعظمته وكبريائه ، فصور المعقول بصورة المحسوس ، وأبرز العائب عن الحس في صورة المشاهد ، وحقيقته تمثيل عظمته بعظمة من يكون له كرسى لا يضيق عن السموات والأرض ، ثم أطلق لفظ المركب الحسى على المعنى العقلى المحقق . والمعنى الثانى للكرسى : العلم ، وسمى العلم كرسياً تسمية بمكان العالم الجالس عليه . والمعنى الثالث : وسع ملكه تسمية بمكانه الذى هو كرسى الملئ .

هذه المعانى الثلاث تتناسب مع ماسيقت له الآية الكريمة ، ووراء هذه الثلاث معان مأخوذة من الرواية ، منها : أن الكرسى جسم عظيم ، فقد ورد أنه خلق كرسياً هو بين يدي العرش ، وقيل : هو تحت الأرض كالعرش فوق السموات ، وقيل : هو موضع قدمي الروح الأعظم أو ملك آخر عظيم القدر ، وقيل : قدرة الله تعالى ، وقيل : تديره وهما يمتنان إلى الثلاثة الأول سياً الأول منها ، والأحاديث دالة على أنه مخلوق عظيم بين يدي العرش والعرش أعظم منه ، والأحاديث مشهورة معروفة ، والكرسى فى الأصل : اسم لما يقعد عليه ، ولا يفضل عن القاعد ، وياؤه لغير النسب ، وقيل : للنسب ، وهو منسوب إلى الكرسى أى اللبد ، فإن الكرسى هو الملبد ، ومنه الكراسية لاجتماع ورقها ، وقرى شاذاً وسع كرسية السموات والأرض على المبتدأ والخبر .

﴿ وَلَا يَبُودُهُ ﴾ أى لا يثقله ، ولا يشق عليه . ﴿ حِفْظُهُمَا ﴾ أى حفظ السموات والأرض ، ولم يتعرض لحفظ ما فيهما ، لما أن حفظهما مستتبع لحفظ ما فيهما ، أو أن الضمير

المثنى عائد على ما في السموات وما في الأرض ، وما في السموات وما في الأرض شامل لهما ، ولما هو خارج عن حقيقتهما مظروف لهما .

﴿ وَهُوَ ﴾ لاغيره ﴿ الْعَلِيُّ ﴾ المتعالى عن الأنداد والأشباه . ﴿ الْعَظِيمُ ﴾ المستحقر بالإضافة إليه كل ماسواه ، قيل : العلى مستحق العلو ، والعالى : هو الموجود في جهة العلو ، وهما على هذا في المحسوسات ، وقيل : العالى هو الذى يجوز أن يشارك ، بخلاف العلى فهو الذى لايجوز أن يشارك ، فعلى هذا يوصف الواجب بالعالى دون العالى ، ولا يجوز وصفه بهما على الأول ، والمقصود من النظم الكريم علو شأنه . وعظم قدرته وملكه ، والله سبحانه وتعالى عَالِيٌّ بِالْاِقْتِدَارِ وَنَفُوذِ السُّلْطَانِ ، وَعَالِيٌّ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَمْثَالِ . فعنى العلو في وصفه : اقتداره ، وقهره ، واستحقاقه صفات المدح ، والعظيم الملك والقدرة لا يعجزه شيء ، ولا نهاية لمقدوراته ومعلوماته .

وآية الكرسي مشتملة على أمهات المسائل الإلهية ، فانها دالة على أنه تعالى واحد في ألوهيته أى في وجوب وجوده لذاته متصف بالحياة الذاتية موجد لغيره ، إذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره ، منزّه عن التحيز والحلول ، مبرأ عن التغير والفتور ، لا يناسب الأشباح ، ولا يعتمده ما يعترى الأرواح ، مالك الملك والملكوت ، ومبدع الأصول والفروع ، ذو البطش الشديد الذى لا يشفع عنده إلا من أذن له ، عالم بالأشياء كلها جليها وخفيها ، كُذِّبَتْهَا وَجَزَّئِيهَا ، واسع الملك والقدرة لكل ما يصح أن يملك ويتدر عليه ، لا يؤده شاق ولا يثقله شأن ، متعال عما يدركه وهم ، عظيم لا يحيط به فهم ، فقيامه بنفسه معناه وجوده بنفسه ، واستفيد حصول الوجود بنفسه من وجوب الوجود ، واستفيد كونه موجدا لغيره من كون وجوده واجبا أيضا : وكونه منزهاً عن التحيز والحلول مستفاد من قوله قيوم لأن ذاته كافية في وجوده ، ومن كان كذلك لا يحتاج إلى ما سواه فلا يكون متحيزاً ولا حالاً في متحيز ، وإلا لا يحتاج إلى غيره ، فلا تكون ذاته مقتضية لوجوده ، ويصح استفادة هذا المعنى أيضاً من الألوهية ، وعلمه بالأشياء كلها مستفاد من « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم » .

قال في الكشاف: « كيف ترتبت هذه الجمل في آية الكرسي من غير عطف »  
وجوابه أنه ما من جملة منها إلا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه ، والبيان  
متحد بالمبين ، فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب : « بين العصا والحملها » .  
فالأولى من الجمل التي لم تعطف وهي قوله : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ بيان  
لقيامه بتدبير خلقه وكونه مهيمنًا غير ساهٍ عنه .  
والثانية من تلك الجمل وهي قوله : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾  
بيان لكونه مالكا لما يدبره .  
والثالثة منها ، وهي قوله : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ بيان  
لكبرياء شأنه .  
والرابعة ، وهي قوله : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ بيان لإحاطته بأحوال  
الخلق وعلمه بالمرتضى الذي تقبل شفاعته وغير المرتضى .  
والخامسة وهي قوله : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحُجُجُ ﴾ بيان  
لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها ، وجلاله وعظم قدره ، وهذا مبني على أن الأصل الذي  
ترتبت عليه هذه الجمل كلها هو : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ فالجمل كلها مرتبة  
على هذا الأصل كما بينا . ولا يقال : إن في بعض الجمل عطفًا ، فكيف ينفي العطف . لأننا  
نجيب بأن قوله : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ ﴾ من تنمة ما قبله أى يعلم الخ . وأشار  
البيضاوى إلى هذا بقوله : « وعطفه » أى ولا يحيطون على ما قبله لأن مجموعهما يدل على  
تفرده بالعلم الذاتى الدال على وحدانيته ، وذلك لأن القصد إثبات العلم له تعالى ، ونفيه  
عن غيره إلا أن يُعلمه ، وقد حصل الأول بقوله : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ  
وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ وحصل الثانى بقوله ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ ﴾ الخ ، وأما قوله ﴿ وَلَا يَتُودُّهُ  
حِفْظُهُمَا ﴾ فهو من تنمة ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ﴾ الخ ، وذلك لأنه ربما فهم من سعة الكرسي  
للسموات والأرض ثقل حفظهما فدفع ذلك و بين أنه لا كلفة فيه بوجه بقوله : ﴿ وَلَا يَتُودُّهُ

حِفْظُهُمَا ﴿ ثُمَّ أَخْبَرَ بِأَنَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، فَهُوَ عَطْفٌ عَلَى مَجْمُوعِ الْمُتَقَدِّمِ كُلِّهِ .  
وفى كلام بعض المفسرين أن «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» تصریح بنفي الإلهية عن غير الإله.  
الحق ، وإثباتها للإله. الحق تبارك وتعالى على سبيل الإجمال وما بعده إلى آخر الآية  
إشارة إلى نفي إله كل طائفة من المشركين على التفصيل ، فإن من يعبد غير الله  
إما لكونه شفيعه ويقرب به إلى الله تعالى ، وإما لغير ذلك ، وعلى كل فهى إما أصنام  
أو كواكب ، وإما ملائكة ، وإما بشر كعبدة عزيز وعيسى ، فقوله ﴿ الْحَى ﴾ إشارة  
إلى نفي ألوهية الأصنام ، وقوله : ﴿ الْقَيُّومُ ﴾ إشارة إلى نفي ألوهية البشر ، وقوله :  
﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ زيادة فى نفي ألوهية البشر ، وقوله ﴿ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ  
وَمَا فِى الْأَرْضِ ﴾ إشارة لنفي ألوهية الكواكب والملائكة والبشر أيضاً ، لأن المقام  
يقتضى ذلك ، وقوله ﴿ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ إشارة إلى نفي ألوهية  
الآلهة التى يعبدونها لشفاعتها بحسب زعمهم ، وقوله ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾  
برهان قاطع على إثبات وحدانيته فى الألوهية ، وقوله ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ  
إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ برهان قاطع على نفي ألوهية الملك والبشر لاقتضاء المقام التأكيد فى ذلك  
وكذلك ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ برهان قاطع على إثبات وحدانيته  
فى الألوهية ونفيها عن غيره .

وهذه البراهين وإن أكدت وحدانيته فى الألوهية ، ولكنها متخالفة فى وجه  
الدلالة ، لأنه إنما يستدل على الوحدانية فى الألوهية بالعلم التام والقدرة التامة ، وقوله  
﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ زيادة إيضاح لبيان علمه تعالى وقدرته وهو كلام لا بأس به .  
والذى تقلناه عن الكشف فى صدر بحث ترك عطف الجمل نظر فيه إلى نظم  
الآية الكريمة ، وإنا إذا ناسبنا جملها من آخرها إلى أولها يتضح لك ماضى مما  
قررناه فى توضيح البيان بكل واحدة ، وذلك أنك تقول : لولا أنه سبحانه وتعالى عظيم  
على الإطلاق من كل وجه ، وبكل اعتبار ، ومن غير حصر لم يكن علياً ، ولو لم يكن  
متفرداً بالوصفين على هذا الوجه لأوداه الحفظ ، ولو أوداه لما وسع كرسيه المثل ملكه  
وعلمه كل شىء ، ولو لم يكن له ذلك الوسع لم يحيط علمه ، ولو لم يحط لما أمكنت

الشفاعة بغير إذنه ، ولو أمكنت بغير إذنه لما كان له جميع الخلق ، ولو لم يكن له ذلك  
لامكن أن تنوبه الحوادث ، ولو طرقت الحوادث لما كان قيوما ، ولو لم يكن قيوما  
لما كانت حياته كاملة ، ولو لم يكن كذلك لما توحد بالألوهية ، ولو لم يتوحد بها  
ما اختص بالاسم الأعظم ، وقد اختص به فلم يكن له سمي : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾  
سبحانه وتعالى فهو يقطع أثر الأسباب والأنساب يوم التناد فلا ينفع الكافر شيئا أصلا .  
وقد اشتملت هذه الآية الشريفة على الاسم الأعظم كما قدمنا ، وعلى الصفات  
المعاني السبع صريحا خمسة ولزوما لاثنتين : أما الخمسة الصريحة فالحياة ، والعلم ، والقدرة  
والارادة ، والكلام ، فإن الإذن لا يكون إلا بالكلام والارادة أيضا ، وأما السبع  
والبصر فمن لازم ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ومن لازم الحى أيضا لأن  
المراد الحياة الكاملة .

وهذه الصفات هي الحاوية لجميع معاني الأسماء الحسنى ، فقد تضمنت هذه الآية  
جميع الأسماء الحسنى ومقتضياتها كما تضمنت فاتحة الكتاب مقاصد الكتاب العزيز  
فظهر كل الظهور أن الله يجعلها سببا في الحفظ والحراسة ، واتضح أنها سيدة  
أى القرآن .

ومن اللطائف أنها خمسون كلمة على عدد الصلوات التي هي عماد الدين المأمور بها  
أولاً في تلك الحضرة العلية ، وعدد ثوابها وأجرها على ما استقرت عليه وآل  
أمرها إليه :

وفي الكشف أن هذه الآية فضلت لما فضلت له سورة الإخلاص من اشتغالها  
على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ، وزادت بتفصيل بديع ، ولا  
مذكور أعظم من رب العزة ، فما كان ذكر الله كان أفضل من سائر الأذكار .

وقد انتهى بنا الكلام على الآية الشريفة إلى هذا المقدار . فإن كنا قد وافقنا  
الصواب فهذا هو مرجوتنا ، والله الحمد والمنة علينا فيه ، وإن كانت الأخرى فإننا من البشر  
﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى  
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ

مَوْلَانَا فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠﴾ .

ولنتروّح بذكر شيء عن كلمة التوحيد التي افتتحت بها هذه الآية الشريفة من حيث التسمية ومن حيث الذكر فنقول :

هذه الكلمة الشريفة تسمى كلمة التوحيد ، وكلمة الإخلاص ، وكلمة الإحسان ، ودعوة الحق ، وكلمة الحق ، وكلمة العدل ، وكلمة الصدق ، والكلمة الطيبة ، وكلمة التقوى ، والكلمة الباقية ، والكلمة العليا ، والمثل الأعلى ،

قال قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَ لِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ هو قول لا إله إلا الله ، والمراد بالمثل هذا الوصف كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ أي صفتها العجيبة ، وكلمة السَّوَاء لقوله تعالى : ﴿ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ وهي قول : لا إله إلا الله ، وتسمى كلمة النجاة وكلمة العهد لقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدًا ﴾ أي قول لا إله إلا الله ، وكلمة الاستقامة لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ وتسمى مقاليد السموات والأرض ، لأن عثمان رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقاليد السموات والأرض فقال : « مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ قَبْلَكَ تَفْسِيرُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ » الحديث وفي رواية أخرى « إِنَّهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ » .

وهذه تسمى الباقيات الصالحات أيضاً ، وتسمى كلمة التوحيد ، والقول السديد لأنها تسد عن صاحبها أبواب جهنم ، أو أنها قول سديد لا يضره شيء من الشبهات .  
وأما الذكر فأقسامه ثلاثة : ذكر باللسان ، وذكر بالجنان ، وذكر بجميع الجوارح .  
فالأول يحصل بالألفاظ الدالة على التمجيد ، والتسبيح ، والتنزيه ، وغير ذلك .

والثاني على ثلاثة أنواع . أحدها : أن يتفكر الإنسان في دلائل الذات والصفات .  
أنها أن يتفكر في دلائل التكاليف من الأمر والنهي والوعد والوعيد ، ويجتهد حتى يقف على أسرارها ، فيسهل عليه فعل الطاعات ، وترك المحذورات . ثالثها أن يتفكر في

أسرار مخلوقات الله تعالى حتى تصير كل ذرة من تلك الذرات كالمراة ، فإذا نظر العبد  
بم عين عقلة إليها علم معنى جلال الربوبية وعظم الصمدانية .

وأما الثالث فهو أن تصير الجوارح مستفرقة في الطاعات خالية عن المنهيات ،  
والأفضل ما كان بها جميعاً ، ثم ما كان بالجنان ، ثم ما كان بجميع الجوارح الظاهرة ،  
ثم ما كان باللسان .

ولا ينبغي أن يترك الذكر باللسان خوفاً من أن يظن به الرياء ، فقد قال الفضيل  
رضي الله عنه : ترك العمل لأجل الناس رياء .

والآيات الدالة على فضل الذكر كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي ﴾  
أَذْكُرْكُمْ ﴿ ، واختلف العلماء في معناها ، فمنهم من عمم فقال : قوله تعالى :  
﴿ فَاذْكُرُونِي ﴾ يتضمن الأمر بجميع الطاعات ، وقوله تعالى : ﴿ أذْكُرْكُمْ ﴾  
وعد يتضمن إعطاء جميع الكرامات والخيرات ، فأولها الثواب الذي هو الغاية عند  
أهل الشريعة ، ثم التظيم الذي هو الغاية عند أهل الطريقة ، ثم الرضوان الذي هو  
الغاية عند أهل الحقيقة ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَعْفُ عَنَّا وَأَغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا ﴾ إشارة إلى  
هذه المراتب ومنهم من خصص ، واختلفوا فيه على أقوال فقيل : أذكروني بالنعمة  
أذكركم بالرحمة ، أذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة ، أذكروني في الدنيا أذكركم  
في العقبى ، أذكروني في الخلوات أذكركم في التجليات ، أذكروني في وقت الخوف  
أذكركم في وقت الرجاء ، أذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي ، أذكروني بالربوبية  
أذكركم بالعبودية ، أذكروني في الفاتحة أذكركم في الخاتمة ، أذكروني بالإخلاص  
أذكركم بالاختصاص ، وعددوا أحوالاً يذكر العبد بها ربه ، وأحوالاً يذكر الله بها  
عبده ، ومتى ذكرك ولو مرة واحدة دخلت في زمرة السعداء .

وقيل في معنى قوله تعالى ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا . وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾  
المراد منه أن يذكر الله عقب الصلوات ، وغدواً ، وعشيّاً ، وفي المضاجع ، وكلما استيقظ  
من نومه ، وكلما غدا وراح ، من منزله .

ويعجبني قول عطاء بن أبي رباح ، وكفى به إماماً : من صلى الخمس بحقوقها فهو داخل في ذلك ، وبالجملة كل من أدى حق الله عليه ، وحق الغير عليه ، وحق نفسه عليه فهو ذاكر لله كثيراً ، وكما يستحب الذكر بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب الجلوس في خلقة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعَوْا ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِیَاضُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : حِلَاقُ الذِّكْرِ » .

وروى عن ابن مسعود رضی الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على جماعة من أصحابه فقال : « مَا أَجَلَسَكُمُ ؟ قَالُوا جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى وَنُحَمِّدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا . قَالَ : آلهِ مَا أَجَلَسَكُمُ إِلَّا ذَلِكَ ، أَمَا إِنِّي لَا أَسْتَحْفِيفُكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ ، وَالسِّكِّنَ أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ » .

واعلم أن فضيلة الذكر غير مختصة بالتسبيح والتحميد ونحو ذلك ، بل كل عامل لله بطاعته فهو ذاكر لله تعالى ، فقد ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ فَقَدْ ذَكَرَهُ وَإِنْ قَلَّتْ صَلَاتُهُ » بأن أدى الفرائض فقط ، وصيامه كذلك ، وتلاوته للقرآن ، ومجالس العلم مجالس ذكر الله كما نقل عن عطاء ابن أبي رباح رضی الله عنه ، والمقصود من الذكر حضور القلب ، فينبغي أن يكون هو المقصود الناكر فيحرص على تحصيله ، ويتدبر ما ذكر ويتعقل معناه ، فالتدبر في الذكر مطلوب كما هو مطلوب في القراءة ، ولهذا كان المذهب الصحيح استحباب مدّ الذكر أي لا إله إلا الله لما فيه من التدبر ، وأقوال السلف وأئمة الخلف في ذلك مشهورة ، وأفضل الذكر لا إله إلا الله للأحاديث الكثيرة في ذلك ، وفي الحديث الصحيح : « أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » . وكثرة الأحاديث في ذلك جعلت المعنى متواتراً ، وإن كان اللفظ آحاداً .

ومما نقل في الرجوع إلى الله بهذه الكلمة الشريفة أن مالكاً كان يعبد صنماً ،

وكان يضعه على قربوس فرسه إذا سافر وكان له وزير مسلم ، وكان يكره من الملك هذا الصنع الشنيع ، فاتفق أن الملك خرج لقتال عدوه فخرج معه صنمه ووزيره ، فوقع القتال بينهما وبين عدوه ، فقتل من جيش ذلك الملك عدد كثير حتى ضاق ذرعاً ، فقال لوزيره : دبر لنا شيئاً عسى أن يكون لنا فيه الفرج ، ففرح الوزير بذلك ، وقال يامولاي الرأي عندي أن تكسر هذا الصنم ، وتسلم لرب السماء ، وتسأله النصر على عدوك ، قال : أو يفهل ؟ قال : نعم هو أكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين ، فرمى الملك ذلك الصنم فكسره وأسلم لرب العالمين ، ورفع رأسه إلى السماء لأنها قبلة الدعاء ، وسأله عز وجل أن ينصره على عدوه فانتصر على عدوه لساعته .

وانظر إلى سحرة فرعون ، وكانوا ثلاثين ألفاً على المشهور من الروايات ، كانوا أول أول النهار فجرة يحلفون بعزة فرعون ﴿ إِنَّا نَنْحَنُ الْغَالِبُونَ ﴾ ، ثم بهد ساعة صاروا بررة يحلفون ، ﴿ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ سَائِئَاتِ قَاضٍ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ﴾ ، وهذا سيرته الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى بهذه الكلمة الشريفة ( لا إله إلا الله ) .

ومما ينسب لبعضهم وقت احتضاره قوله :

يارب إني لم أزل في مثل حال السحرة  
حين استلادوا بعرا الدين وكانوا ككفره  
فآمنوا يوماً ففازوا بثواب البرره  
ولم أزل مستشعر الإيمان ياذا المقدره  
فاغفر فإني منك أو لي منهم بالمغفره

وأنا أقول كما قال ، وأسأله من فضله متوسلاً بجنابه المتعال ، أن يرزقنا وأحبابنا حسن الختام ، وأن يجعلنا ممن فاز منه بالرضا واللطف في القضا على الدوام ، وأن ينعم علينا بدار السعادة والسلام ، والحمد لله تعالى أولاً وآخراً ، ظاهراً وباطناً ، على مرّ الليالي والأيام ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وحببيه أفضل مبعوث إلى الأنام ، وعلى آله وصحبه وجميع الأنبياء والمرسلين أتم السلام ، والحمد لله رب العالمين .

## خاتمة في الدعاء

اعلم أن الدعاء سبب من الأسباب العادية في الوصول إلى المقصد ، والله تعالى ضمن الإجابة بقوله : ﴿ اُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ وقال : ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ ، ولكن الإجابة في الوقت الذي يريد ، وبالشئ الذي يريد ، لا بما تريد ، ولا في الوقت الذي تريد ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَجِيبُ مَن دَعَا إِلَىٰ شَاءٍ ﴾ ، وقد تتأخر الإجابة أعواماً كثيرة لما يعلمه سبحانه وتعالى من الحكم والمصالح ، وقد قالوا إن الله قال لموسى وهرون : ﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴾ ، وكان ذلك بعد أربعين عاماً ، وقد لا يجيبه إلا بنقيض مطلوبه ، وقد يؤخره إلى يوم القيامة لما يعلمه سبحانه وتعالى ، ويكون الدعاء خضوعاً لله ، وفزعا إليه سبحانه وتعالى ، ونحن نضرع إليه في قبولنا ، ونسأله حسن الختام .

### فائدة

اعلم أنه ورد في فضل الدعاء آيات وأخبار وآثار كثيرة ، وأن له آداباً ينبغى المدعى أن يحضرها وقت دعائه ، ويتأدب بها في مناجاته ، رجاء القبول من الملك الوهاب سبحانه وتعالى ، وجلتها كما قال العارف بالله الغزالي رضي الله تعالى عنه أربعة عشر :  
الأول : أن يكون على وضوء إن قدر في كل دعواته أو معظمها ، فإن ذلك أنور للقلب وأرضى للرب ، وأقرب للإخلاص ، وأسرع للإجابة .

الثاني : أن يكون مستقبل القبلة ، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتى عرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس .

الثالث : أن يرفع يديه حتى يرى بياض إبطه ولا يشير بأصبعه ؛ قال صلى الله عليه وسلم : « إن ربكم كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردّها صفراء ، وكان هو صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك » .

الرابع : أن يترصد الأوقات الشريفة لرفعها وجلالتها : كيوم عرفة ، وعاشوراء ، وشهر رمضان ، وليلة الجمعة ويومها ، لاسيما آخر ساعة منه ، ووقت السحر ، و بعد الصبح وما بين الأذان والإقامة ، وتكبيرة الإحرام ، وفي السجود وما أشبه ذلك .

الخامس : خفض الصوت بين الحافطة والجهر ، قال صلى الله عليه وسلم : « أئبها النَّاسُ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ لَيْسَ بِأَصَمٍّ » .

السادس : أن لا يتكلف السجع ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إِيَّاكُمُْ وَالسَّجْعَ فِي الدَّعَاءِ » أى لأنه يُذهب الخشوع أو كمال الخشوع فإن أتاه من غير تكلفٍ أو حفظه من دعاء غيره فلا بأس بذلك إذا خلصت النية .

السابع : التضرع والخشوع والرغبة ، قال تعالى : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ . الآية الثامن : أن يقدم على دعائه ذكر الله تعالى ، والصلاة والسلام على سيد الخلق صلى الله عليه وسلم ، قال أبو سليمان الداراني : من أراد أن يسأل الله تعالى حاجةً من حوائج الدنيا والآخرة ، فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل الله حاجته ، ويختتم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن الله تعالى يقبل الصلّاتين ولا بد ، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما .

التاسع : أن يشرك أبويه وسائر المسلمين ، فإن الله تعالى أكرم من أن يتكرم الداعي بالدعاء على جميع المسلمين ولا يتكرم هو بالإجابة فيهم وهو تعالى أكرم من أن يجيبه فيهم ولا يجيبه في نفسه وحاجته ، لأن دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب مستجاب ولا بد كما تقدم آنفا .

العاشر : أن يجزم بالدعاء ويصدق رجاءه ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَقُلُّ أَحَدُكُمْ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ بَلْ يَجْزِمُ الْمَسْئَلَةَ فَإِنَّهُ لَأَمْكْرَةٌ لَهُ » .

الحادى عشر : أن يلح في الدعاء وأن يكرّره فإن الله تعالى يحب الملهين في الدعاء وإن في الإلحاح إنكسار القلب وخشوعه وتعلقه بذكر الله تعالى .

الثانى عشر : أن لا يستبطئ الإجابة لقوله صلى الله عليه وسلم : « يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ فِيَقُولُ دَعْوَتُهُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي » .

الثالث عشر : أن لا يدعو فيما يكرهه الله تعالى ولا فيما يؤدي إلى ذلك ، فإن المقت في هذا الدعاء أقرب من الإجابة ، فإن أجيب كان استدراجا .

الرابع عشر : وهو الأصل في قبول الدعاء وسرعة الإجابة التوبة من كل ذنب والإقلاع عن كل معصية والإقبال على الله تعالى بجميع المهمة .

انتهى كلام الإمام الغزالي

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجنى عليه اجتهاده

وإذا العناية صادفتك عيونها نم فالحاوف كلهن أمان

تركت الناس من بالى فبلى ودادهم بالى  
وحبل الله معتمدى به عاقت آمالى

تمت هذه الرسالة المباركة بحول الله تعالى وقوته في غروب يوم الثلاثاء الموافق لستة أيام خلت من شهر جمادى الثانية من سنة ١٣٥٧ سبع وخمسين وثلثمائة بعد الألف ، من هجرة من له العز والشرف



## بيان الخطأ والصواب

صواب	خطأ	صفحة	سطر
صار فهمه لهذا يتوقف	وهذا يتوقف	٤	١٨
المنقول تواتراً أو أحاداً حجة	المنقول تواتراً	٧	١٤
مفتحة	مفتحة	٨	٧
عده	عده	١٤	١٧
الآلات	الآلة	١٤	١٨
لمفرده	مفرده	١٧	١١
نحصى	نحصى	١٨	١٣
الاستعانة	استعانة	٢٥	١٩
بنساء أجنبيات عاريات	بنساء عاريات	٢٩	٢
على ما عليه الآن منكرة	على ما هي عليه منكرة	٢٩	٦
قيل الموافقة في الوقت وقيل في الإخلاس عن ابن عباس	غفرله في الوقت وقيل	٣٩	٢٠
تسمى غالباً بأشهر كلمة	تسمى بأشهر كلمة	٤١	٢
وإن كانت دلالاته	وإن كانت دلالة	٥٥	١٢
المشار إليه بقوله	المشار إليه تقوله	٥٦	٧
واختلف العلماء	واختلفت العلماء	٥٧	١٥
أعجبني الدار	أعجبني الدار	٦٠	٦
لا إثباتها	لا ثباتها	٦١	٨

صواب	خطأ	سطر	صفحة
وأن واحدة منها	وأن واحدة منهما	٢	٦٢
أو يحذف	أو يحذف	٨	٦٣
ثم الاتفاق	ثم بعد الاتفاق	٥	٦٥
فما يدل	فيما يدل	٨	٦٥
ولا تترتب	ولا يترتب	٣	٦٦
ويقبلها	ويقبله	٤	٧٠
والصلوة	والصلاة	٨	٧٠
السديد	الشديد	١٣	٧٠
بدون الغذاء الماء كقول	بدون الغذاء فالماء كقول	١٠	٧٢
يصير كل واحد	فيصير كل واحد	٢١	٧٢
وعند إرادة التعميم يكون إدخال	وعند إرادة التعميم فإدخال	٦	٧٣
للعهد	بالعهد	٨	٧٤
في محل رفع	محل رفع	٣	٧٨
في التقليد	بالتقليد	٧	٩٠

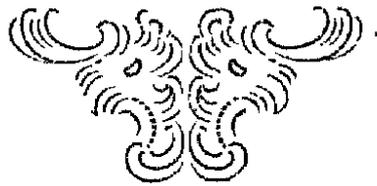
## فهرست

صفحة

- ٤ فهم القرآن فرض عين أو فرض كفاية
- ٤ بيان ما يتوقف عليه فهم القرآن الذي هو فرض كفاية
- ٥ بيان أن علم التفسير رئيس للعلوم الدينية وما يتبع ذلك
- ٦ و٥ معنى التفسير والفرق بينه وبين التأويل وما يتبع ذلك من تفسير قوله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب إلى قوله والراسخون في العلم وفيه بيان معنى المتشابه
- ٧ تفسير سورة الفاتحة ، وفيه بيان معنى القرآن ، وبيان تسميتها بأمر القرآن
- ١٠ بيان معنى المكي والمدني
- ١٠ بيان أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من كل سورة ، وبيان المذاهب في ذلك بالأدلة
- ١٢ بيان معنى بسم الله الرحمن الرحيم إجمالاً
- ١٣ بيان معنى الرحمن الرحيم
- ١٤ الكلام على الحمد لله رب العالمين وهو مبحث نفيس
- ١٨ الكلام على تكرير الرحمن الرحيم
- ١٩ الكلام على مالك يوم الدين
- ٢١ الكلام على إياك نعبد وإياك نستعين ، وهذا المبحث من أهم مباحث هذا الكتاب وفيه بيان الاستعانة بالأولياء وزيارة قبورهم والكلام على الموالد والسعي إلى الصلاة في مساجدهم
- ٢٩ الكلام على إهدنا الصراط المستقيم وفيه بيان أنواع الهداية
- ٣١ الكلام على صراط الذين أنعمت عليهم الخ السورة وهو مبحث نفيس يُبين في أوله الذين أنعم الله عليهم وفي آخره المغضوب عليهم والضالون وفرق الضلال والناجون

- وغير الناجين، وبيان شئ من الضلال، وفيه تحقيق نفيس للاسم الموصول والكلام على آمين
- ٤١ سورة البقرة والكلام على ألم وفواتح السور مستوفى بالأدلة، وبيان المختار فيها وهو تحقيق تام فيها، وفيه بيان إعرابها.
- ٤٩ الكلام على قوله تعالى ذلك الكتاب، وفيه تحقيق نفيس في وصف اسم الإشارة بالمحلى باللام، وبيان السر فيه
- ٥٢ الكلام على قوله تعالى لا ريب فيه
- ٥٤ الكلام على قوله تعالى هدى للمتقين، وفيه بيان معنى الهداية، وبيان هداية القرآن، وبيان معنى التقوى ومراتبها بتحقيق نفيس واضح
- ٥٩ بيان مواقع الجمل بعضها من بعض بياناً دقيقاً
- ٦٠ الكلام على قوله الذين يؤمنون بالغيب، وفيه تحقيق معنى الإيمان، ومعنى الغيب بوجه سهل دقيق، وبيان المذاهب في الإيمان
- ٦٨ الكلام على قوله تعالى و يقيمون الصلاة، وفيه بيان معنى يقيمون بياناً تحقيقياً
- ٧٠ الكلام على قوله و مما رزقناهم ينفقون، وفيه تحقيق معنى الانفاق، ومعنى الرزق
- ٧٣ الكلام على قوله والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، وفيه تحقيق الموصول في هذه الآية على وجه تام
- ٧٧ الكلام على قوله تعالى وبالآخرة هم يوقنون، وفي تفسير هذه الجملة تحقيق القصر وتحقيق معنى الايقان
- ٧٧ الكلام على قوله أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون، وهو من ٧٧ إلى ٨٢، وفيه تحقيق نفيس لتكرار اسم الإشارة، وتحقيق موقع الثانية من الأولى وسر العطف
- ٨٢ الكلام على قوله تعالى إن الذين كفروا إلى قوله لا يؤمنون، وفيه تحقيق لمعنى إن وبيان عملها، وتحقيق معنى التأكيد، وبيان الداعى إليه، والمراد بالموصول وسبب النزول، وبيان رأى المعتزلة في حدوث القرآن، والكلام معهم في ذلك، وفيه بيان

- التكليف المحال بوضوح تام ، وهو من نفاث هذا الكتاب
- ٨٩ الكلام على قوله تعالى ختم الله على قلوبهم إلى قوله عظيم ، وهذا المبحث بحمد الله لم يوضح في تفسير ما يمثل توضيحه هنا ، فقد اشتمل على تحقيق الكلام في خلق الأفعال ، وبيان المذاهب بأدلتها ، ورد المردود منها ، وبيان وجه الرد وتطبيق الآية على المذاهب ، وكذا تطبيق غيرها أيضاً ، وهذا التحقيق نفيس للغاية وإن لم يكن إلا هو في هذا الكتاب لكفى
- ١١٠ تفسير آية الكرسي الخ ، وهو تفسير دقيق مع تمام الوضوح ، وقد اشتمل تفسيرها على نفاث حجة قل أن توجد في غير هذا الكتاب
- ١٣٦ خاتمة في الدعاء



بحمد الله تعالى تم طبع كتاب: «التحقيقات الواضحة» لصاحب الفضيلة «الشيخ  
محمد الحسيني الظواهري» مصححاً بمعرفتي مع مراجعة المؤلف

أحمد سعد علي

من علماء الأزهر الشريف ورئيس التصحيح

[ القاهرة في يوم الخميس ٤ رمضان سنة ١٣٥٧ هـ / ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٣٨ م ]

مدير المطبعة

رستم مصطفى الحلبي

ملاحظ المطبعة

محمد أمين عمران